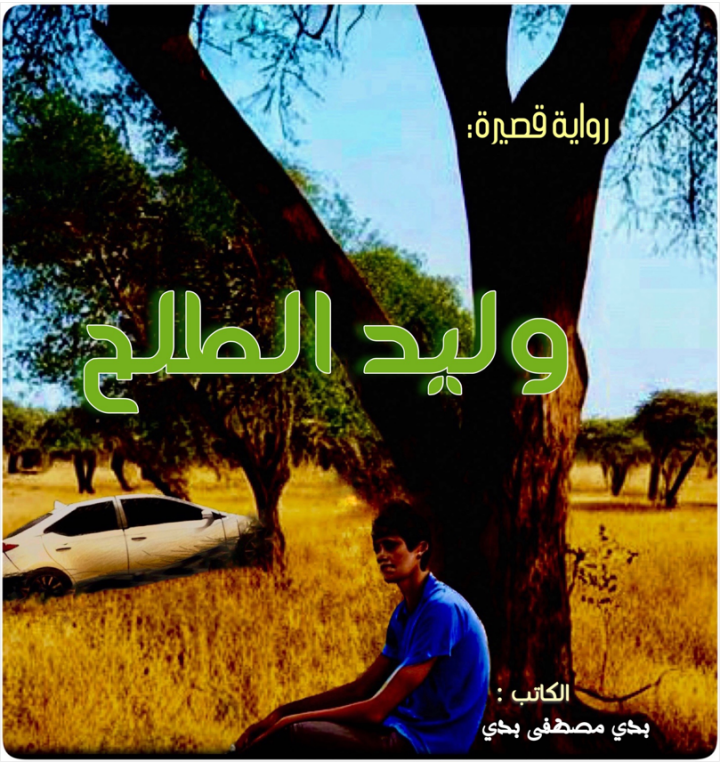
رواية قصيرة:
وليد الملاح
الكاتب :
بدي مصطفى بدي

" حقًّا ولدتُ من جديد ! "

لايزال ابنك يا أختي حتّى الآن جالسا وحده
في غرفته، يكتب ويكتب.. يبدوا أنّه جُنّ بعد
الحادث الذي مرّ عليه أسبوع كامل
_آه، أنت فقط سمعت الخبر ولا تعلم يا أخي
كيف حُفظ لي ابني... آه الحمدلله كثيرا،
قد كان حدثا جللاً مهولا لا يُشفى من
وقعه النّفسي سريعا،
_لا أنت تبالغين يا أختي، هذا شيء عادي كما أنه
لم يُصب بأذى كما سمعت، لكن طبعك دائما هكذا
في تدليل "بشير" حتى صار سيء الأدب والأخلاق،
ضعيفا جبانا، والآن لا شغل له غير الكتابة
مع أنّه قارب العشرين!
_ههه لا يا أخي ليس كذلك، هذا شيء طبيعي عند كلّ أم،
خاصّة أنه ابني الوحيد، أما الكتابة فقد استهوته في هذه
الأيام وصار يقرأ ويكتب باستمرار، وهذه فترة العطلة والأهم
أن يشغل وقته فيما يُفيد..
أما قصّة الحادث هذه فعجيبة وغريبة

، لقد غيّرته تماما ولم يعد كما كان.. انت فقط لاتعلم بتفاصيل ما وقع وما قد صار عليه ابني،

_ولم تخبريني أيضا يا "حسينة"!
_نسييت يا رجل نسيت، وهاهو "بشير" قريبٌ منك، يا "بشير .. بشير .." سيحكي لك قصّته الآن بالتفصيل كعادته..
_ نعم ما الأمر!
_اجلس حتى تُخبر خالك قصّة الحادث على طريق روصو..
_انه مجرد حادث بسيط.. مضى وانقضى..
والحمدلله على السلامة،
_اجلس يا ولد! بل ستخبرني بالقصّة دون ترك أي تفصيل، لقد اثرت فضولي انت وامك هذه،
_ههه حسنا يا خال كما تريد، ستسمع كل التفاصيل الدّقيقة قبل أن يفور ابريق الشاي هذا ههه،
_ ولكن إيّاك أن تترك جزئية أو أن تتوقف قبل نهاية القصة، حتّى لو رأيتني أغمضت عيناي لأني أسمعك في الحالتين،
_ هههه حسنا إذًا فلتسمع يا خالي،

لقد ايقظتني الوالدة فجر السبت الماضي كما طلبت منها كي أتجهز للسفر لنواكشوط، فقد عزمني أحد أصدقائي لحفل نجاحه في الباكالوريا مساء ذاك السبت، قمت بتثاقل مع أذان الصبح وعيناي بالكاد تنفتحان، قررت أن أكتفي بتجهيز حاجاتي في حقيبتي فقط دون الاستحمام والتحضير للحفل حتى أصل بذلك كلّه لنواكشوط، هممت بوداع الوالدة وأنا أسألها عن والدي لاستعارة
سيارته الـ Corolla S 2016 مدة يومين،
ردّت عليّ مع شيء من عدم الارتياح والرضا:
_والدك ذهب لصلاة الصبح،
تذكرت أني نسيت أن أصلي فتوضأت، كان الجوّ هادئًا ومريحا وأنا أتجه للمسجد وقلّما كنت اصلي الصبح في وقته أحرى أن أصليه في المسجد مع الجماعة، همست في نفسي مع بعض الهمهمة .. بداية خير ان شاء الله.. التقيت بالوالد بعد الصلاة وأنا أعلم أنّه لن يردني خائبًا، فلم يرفض لي طلبًا في حياتي لحبّه الشديد لي، لكنّ الطلب الآن بالنسبة له فيه مخاطرة بحياتي، فخفت ألاّ يقبل وهو يعلم تهوري في السياقة خاصّة أنّي شوهت من قبل سيارته مرتين،

فاجئني وهو يسلّم لي المفاتيح عند وصولنا للمنزل بعد محاضرة طويلة طبعا عن توخي الحذر وعدم الاسراع في القيادة خاصة مع هذه السيارات الأوتوماتيكية.. أظنّه أحبّ رؤيتي بجانبه في الصّلاة لذلك يريد أن يكافئني، ودعته وأنا أهزّ رأسي وأردّد مع ابتسامة ممسكا بالمفاتيح، حسنا ان شاء الله ان شاء الله..

وهو والوالدة يرددان عند الباب:

صحبتك السلامة ياولدي، حفظك الله ورعاك..

كانت أوّل مرة أركب السيارة مبتدئا بالبسملة وأذكر ما أذكره من دعاء السفر فقد انتابني بعض التوتر نتيجة محاضرة الوالد تلك، مع أنها ليست المرة الأولى لي، رميت الحقيبة على المقاعد الخلفية، وأحكمت قبضة الحزام عليّ قبل أن أخرج بالسيارة من ذلك الحي الضيق صوب الطريق العام، ما ان استوت السيارة عليه حتى اسرعت في وجهتي لنواكشوط، واشعة الشمس تنبثق شيئا فشيئا من بين تلك الكثبان الرملية، الموزعة على جوانب الطريق والتي ترسل ألسنتها عليه فتخفيه أحيانا،

رويدًا تبرز الشمس مع قطعي لكل مسافة حتى أظهر ضوء

طلوعها بوضوح كلما حولي، فتفتَّحت عيناي أكثر على جمال الأودية في تلك البوادي والخلوات، وأنا أراها من فوق ارتفاع الطريق حين يرتفع أحيانا، لقد كان موسم الخريف هذا جيّدًا ومباركا فقد سقت الأمطار تلك الأراضي بمليارات مليارات القطرات المتتابعة، وتحولت الأرض بمشيئة الله إلى غُدرٍ متصلة كالأنهار يتخذها الأولاد كبرك السباحة مساءا، وحولها أبسطة من النبات الأخضر حيث تتوزع أنواع القطعان فيرعون فيها كلّ مرة،
كنتُ مستمتعا بتلك المناظر كثيرا وأنا أقود بحرية على الطريق المفتوح أمامي دون أي زحمة،
أخرج رأسي مرةً لأتمتع بالهواء وهو يحرك شعري وأسلاك النسيم الخفية الزكيّة تلاطف أنفي مع تأملي للأصوات التي بدأت أسمعها في تقدمي، كصيحات الديوك ورنين بكرات الآبار المستمر وأصوات الأبقار والماعز، وزقزقة العصافير وأصوات الطيور بمختلفها وهي تتطاير بين أغصان الأشجار وتنطلق تارة في جو السماء بنظام دقيق لا تتصادم ببعضها إطلاقا،

تهتُ في ذلك الجمال للحظات والسيارة مسرعة وقد

تجاوزت الـ 160km/h !!!، رميت علبة السيجاريت بعدما دخنت تسعة كانت متبقية فيها..

_ مماذا ياولد!!

_ههه لقد هجرتُ كلّ ذلك يا خالي، اسمعني الآن رجاءا فالكلام عن آخره ههه..

_اكمل يا مدلّل !

ههه، بعدها رفعت جميع نوافذ السيارة لأشغل مكيّفها، وهممت بأخذ هاتفي من الحقيبة خلفي لأشغل بعض الأغاني على مكبر الصوت في السّيارة، فالتفتُ لأخرجه منها وأنا ممسك بالمقود بيسراي في نفس الوقت،

ما ان أخرجته بصعوبة والتفت للطريق..

إذ بالسيارة قد انعطفت عن المسار وخبطت بحافة الطريق حتّى طارت للحظة في الجوّ كأنّ كلّ ما حولي توقّف للحظة..

حتى قلبي وأنا متأكد بلا شكٍّ

أنّ هذه ستكون هي نهايتي الحزينة التعيسة لا محالة..

وقعت السيارة بقوّة على الأرض ولم يمنع عني الحزام ضربة الرأس الشّديدة بالمقود حتى كدت أفقد الوعي، وكادت السيارة أن تنقلب لولا رحمة ربي، لكنها واصلت مسرعة في

ذلك الانجراف المنحرف المليء بالطين،

وأنا في هلع وجزع وقد تجمدت من الخوف للحظة، شاخص البصر أنظر ولم يرتد إلي طرفي
كأني رأيت الموت يركض نحوي، إلى أن اعترضت السيارة إحدى شجر الطلح بجذعها، فاصطدمتْ به بقوّة حتّى انتفخ البالون الأبيض الكبير ليحضن جزئي العلوي كله فيخفف عليّ شدّة الاصطدام، لكنّ ذلك لم يمنع عنّي ذاك الصّداع والدوار الشّديد الذي أصابني مباشرة دون انقطاع، انتزعت رأسي من البالون وأنا أبعده بيداي، خرجت من السيارة ويدي على رأسي وبالكاد توازن وقوفي، فجلستُ تحت ظل شجرة أخرى قريبة مسندا ظهري عليها وكلّي جزع وقلق وقد انتابني العطش، نظرت للسيارة والدخان يتصاعد من محركها وقد تأثر مظهرها الأمامي بشكل شنيع،
والغبار والطّين قد لطّخا لونها الأبيض
بعد ذلك الانجراف الخطير، أما الشجرة وخاصة جذعها لم يُحدث الاصطدام به إلا تقشُّرٌ عادي لجلد طبقته الخارجية،

ثمّ نظرت حولي ولم أرى غير عشب أخضر كثيف يفرش كل

الأرجاء، وأشجارٍ كثيرة متناثرة على ذلك الوادي الواسع، آلاف الأشجار المتشابهة في النوع لكنّها جميعا مختلفة تماما في الشكل، ذكرني ذاك الوادي بأيام كنت فيها أرافق الوالد في رحلات صيده للأرانب، نفلح أحيانا ونفشل تارة، نأتي بأرنبٍ مرة بعد طول بحثٍ ومطاردة وتارةً اثنين وتارة نرجع بخفي حنين ههه، ظللت أجول بعيني على ما حولي ومضت دقائق على ذلك الحال

ولم أرى أثَرًا ولم أسمع صوتًا لإنسان، حتّى رأيت من بعيد ثلاثة غلمان يلاحقون بعض الحمير، لاحظوا الحادث فانعطفوا مقتربين نحوي تاركين الحمير تفرّ نحو سبيلها، نظروا إليّ وإلى السيارة طويلا حتى قاطعتهم أصرخ بطلب الماء، هربوا بعدها في لمح البصر ولم أكن أظنهم سيرجعون إلى أن لمحتهم مرة أخرى، ومعهم رجل يحمل قنينة ماء كبيرة يكسوها جلد عنزة مبلّل أو جلد جديٍ كما أظن، طريقة كما تعلم تُستخدم في البدو لتبريد الماء، ما ان اقترب الرجل وهو يردّد يا حفيظ ياحفيظ

وعيناه شاخصتان لهول المشهد..

تقدم نحوي وقدم لي القنينة مفتوحة فأسرعت في الشرب

من ماءها البارد، حتّى برد صدري ورُوي عطشي..

سكت الرجل قليلا وهو ينظر حولي بكل شفقة والأولاد عند السيارة يتفحصونها من كل جانب، لم يسألني الرجل كثيرا واكتفى بمعرفة سبب الحادث وهو يردد الحمدلله على السلامة، عرض علي النزول عنده ذاك اليوم لكنّي اظهرت له رفضي واعتذرت له بعد أن شكرت له صنيعه النادر، سرت للسيارة وقد برزت الشمس وبدأت حرارتها بالارتفاع ، أخذت هاتفي الذي وجدته قد صار ملقى أسفل المكابح، اتصلت بالوالد فأخبرته بما حدث وقد احسست بنبرته قد تغيرت تماما، والخوف باد في كلامه وأنا أحاول طمأنته وتهدأته، قبل ان تنتهي المكالمة قاطعني الرجل وهو ينظر إليّ بجديّة،
_احمد ربك لو لم يصبك هنا هذا الحادث يا ولدي
لكنت تعرضت لآخر أشد وأشنع هناك!!
_ماذا تقصد؟
_يا ولدي قبل أن ألتقي بهؤلاء الغلمان ليرشدوني إليك، كنت في حادث مخيف يُقطّع شرايين القلوب، ليس بعيدا عن هنا، راح ضحيته ثلاثة رجال وطفل وامرأتين وبعض الجرحى!!!

_الله أكبر، كيف حدث هذا؟!!

_كنت عند كوخي كعادتي أقطّع ذبيحتي لأبدأ في بيعها، إذ لمحت من بعيد شاحنة كبيرة مشحونة بالبضائع، لفت انتباهي لها سرعتها المفرطة حتى وقعت عجلاتها الأمامية في حفرة على الطريق، فرأيتها تدور بطولها
نحو السيارات الأخرى فجرت معها بعضهن إلى أن سقطت على بعض المارة، ما أدى لوفاة ستّة اشخاص على ما نظن..
وحتى الآن لم يأتي الإسعاف،
فقط نحن أصحاب القرية نحاول أن نساعد..
_لا حول ولا قوة إلا بالله.. اللهم الطف..
ثم همست في نفسي أردّد الحمدلله حقًّا،
لم ألبث طويلا حتى سمعت أصوات صفارات الاسعاف المقلقة تُعلم باقترابها، ومع اقتراب الصوت وظهورها على الطريق مسرعةً، لمحت من خلفها سيارةً تنعطف نحوي فإذا به الوالد في سيارة صاحبه الإمام الذي صلّى بنا الصبح ذاك اليوم، ورأيت عمّي "عبّاس" في المقاعد الخلفية، والوالد يحاول فتح باب السيارة قبل أن ينزل، تفحصني كثيرا وربت على ظهري وهو يكرّر الحمدلله ، وعمي والإمام ينظران إليّ

باهتمام قبل يسلموا عليّ
وعلى الرجل الذي معي، ثمّ نظروا قليلا للسيارة قبل أن يدفعوها للخلف، فأخرج الإمام حبلا كبيرا من حاوية سيارته الـHilux، جُرّت به السيارة و"عبّاس" في داخلها ممسكا بالمقود وقد أزال البالون المنتفخ،

في طريقنا للدار لم يستجوبني الوالد كعادته إلاّ بعد يوم، لكن الإمام نظر إليّ لبرهةٍ مبتسما وهو يقول الحمدلله على السلامة، ثم أردف يقول من نص الحديث
وقد التفت للطريق:
(" مَن صلَّى الصُّبحَ في جماعةٍ فَهوَ في ذمَّةِ اللَّهِ ")،
فهمت أنّه يقصدني لكنّي لم أفهم ما كان يقصد تماما إلاّ بعد ذلك، لقد كان دائما ينصحني بالصلاة في الوقت وفي المسجد مع الجماعة، فقد كان يلاحظ دائما تكاسلي عن ذلك عند زيارته لوالدي، وخاصة صلاة الصبح في غير رمضان، حمدت الله في نفسي كثيرا على نجاتي،
ونويت ان أظهر الشكر بالصدقة ما استطعت تلك الأيام، وخاصة عزمت بعدها أن أحافظ على صلاة الصبح في المسجد وأن لا تفوتني أبدا، وتبت في نفسي من كل تلك

الذنوب السابقة، وعزمت الخروج من تلك الحياة المظلمة وأوحالها ومستنقعاتها القذرة التي كنت عالقا فيها كلّ هذه السنين،

نويت ترك صحبة السوء تلك وملاحقتي معهم للفتيات، والتدخين الذي لطالما أمرضني والموسيقى والأغاني المنحرفة التي أدخلتني في دوامات من الهمّ والحزن، وأثرت في قلبي ودماغي تأثيرا سلبيا حتى تجرعت بمزاميرها يأسًا وكسلاً وخيالا في تضخيم الأمور عن طبيعتها، وقلة الصبر وسوء الحفظ والفهم
وضعف الإيمان،
أردت بعدها بصدقٍ أن أستبدل حياتي بأخرى أفضل أتصالح فيها مع نفسي، وأنعش قلبي بحفظ القرآن وتعلم ما فرض الله عليّ، وأكوّن عقلي بالتركيز على تنميتي واستغلال أوقاتي، وتطوير قدراتي والاهتمام بدراستي ومستقبلي، رجعنا للدار بعد رفضي الذهاب للمستشفى وأنا في حالة من الصمت والتفكر، ومراجعة نفسي
ووضع خطة لإصلاح حياتي، أمّا حفل صديقي فقد ألغيت فكرته من رأسي تماما، رجعنا للدار وتفاجأت بالوالدة عند

دخولي تحتضني وتقبلني من كل جانب كأني عدت لها من الموت، ولا شكّ أنّي حقًّا ولدت من جديد!

"عمّار.. عمّار " ياخال لقد نمت بهذه السرعة
تبارك الله ههههه!
_اتركه يا ولدي هكذا طبعه دائما يريد قصّةً بتفاصيلها لينام عليها كالأطفال، اهمم.. حتى أنا ياولدي نعست،
خذ انت اشرب كأسك، سأنام قبل عودة والدك من العمل،
_حسنا يا أمّاه.